زحف التحرر العربي

بقلم الدكتور محمد مندور

انه لمن الظواهر التي تدعو الى الغبطة والتفاؤل أن نلاحظ أن القومية العربية يطرد نموها مع تقدم الزحف الظافر نحو التحرر من بقايا الاستعمار .

وهذا التوازي في سير الحركتين لا يفسر بأن دسائس الاستعمار كانت تعمل على اضعاف روح القومية العربية فحسب ، بل ويفسر ايضاً بأن كل نجاح يصيبه شعب ضد الاستعمار يزيد القومية العربية قوة ، وذلك لأنه يحطم ركناً من مركب النقص غرسه طول العسف والاستبداد والاستعمار بالأمة العربية . وقد أتى زمن على الكثيرين من سكان البلاد العربية كان الواحد منهم يتلمس أو يتوهم له نسباً أو صلة قريبة أو بعيدة بأي جنس آخر قديم أو حديث غير الجنس العربي ، حتى استفحلت الشعوبية في العالم العربي استفحالا مدمراً ، فكنت ترى من يفخر بأن أصله فرعوني أو فينيقي أو آشوري أو بابلي أو أوروبي من بقايا الصليبيين أو تركي أو أي جنس شئت ماعدا الجنس العربي ، حتى رأينا بعض الاوربيين يحسون بشعور المهانة عند العرب نحو أنفسهم فيتخذون من كلمة « عربي » لفظاً للسباب على نحو ما يسب الانجليزي زميله بقوله « Street Arab » اي « عربي متسكع » .

واستمرت تلك الحالة المحزنة الى أن أخذ العرب يستيقظون لاسترداد حريتهم وسيادتهم في أوطانهم في نهاية الحرب العالمية الاولى التي تحرروا في اعقابها من كابوس الاستعمار التركي البغيض . واذا كان المستعمرون الغربيون قد استطاعوا لسوء الحظ أن يحلوا في الاستعمار محل الاتراك الغاشمين الاجلاف ، فان هذه النكسة لم تطفئ شعلة الحرية التي ظلت متقدة تزكي القلوب وتحفز الهمم في غير كلال ولا يأس ، إلى أن أخذ صبرهم وجهادهم يؤتي ثماره ، فرأينا البلاد العربية تتحرر تباعاً شيئاً فشيئاً أو دفعة واحدة بعضها في إثر بعض .

لقد تحررت سوريا وتحرر لبنان من الفرنسيين تحرراً تاماً . وكان الانجليز يظنون أنهم باخراج الفرنسيين سيستطيعون أن يحلوا محلهم ، على نحو ما يظن اليوم آخرون أن باستطاعتهم أن يحلوا محل الانجليز والفرنسيين على السواء غير متعظين بأمل الانجليز الذي خاب خيبة ذريعة . فالشعب الذي يحصل على حريته بدماء شهدائه لا يمكن أن يعود فيقبل مستعمراً جديداً بدل مستعمر قديم ودماء ابنائه لم تكد تجف .. بل لقد بلغ بالانجليز حد الغفلة والتخلف عن فهم تطور الشعوب ان ظنوا أن باستطاعتهم أن يحتالوا للأمر ، فلم تكد سوريا ولبنان تحصلان على استقلالهما وتتخلصان من الفرنسيين ، حتى أخذ الانجليز يتحمسون لفكرة الجامعة العربية على أمل أن يجمعوا فيها العالم العربي كله تحت سيطرتهم بفضل المعاهدات والمحالفات الصورية التي نجحوا في إملائها على بعض الشعوب العربية كمصر والعراق والاردن . ولكن احتيالهم خاب ومكرهم رد الى نحورهم . وأظهر العرب أنهم أوسع حيلة وأذكى مكراً من أولئك الاستعماريين العتاة ، فلم يرفضوا فكرة الجامعة العربية رغم ما وراءها من قصد مبيت ، بل رحبوا بها وخفوا اليها على أن يجعلوها جامعة تحرر لا جامعة استعمار . وبالرغم من أن هذه الجامعة الناشئة تعرضت للكثير من الدسائس والمحن بمجرد أن أسفر العرب عن قصدهم منها ، الا أنها مع ذلك استطاعت أن تصمد على الأيام وأن تتساند وتتعاون في الزحف المقدس نحو التحرير الكامل للأمة العربية .

وقيض الله لمصر التي تكون كتلة عربية في الشرق الأوسط هذه الثورة القوية التي لم تنجح في اجلاء جنود الاحتلال عن أرض الوطن فحسب ، بل وأجلت ايضاً كل نفوذ للاستعمار عن أرض الكنانة . فرفضت كل سيطرة مقنعة تحت اي اسم مزيف كالدفاع المشترك ، بل وألقت بآخر وكر للاستعمار وهو شركة قناة السويس الى عرض البحر بتأميم القناة ذاتها . وثار الاستعمار وكان هذا التأميم القشة التي قصمت ظهر البعير ، ولكن ثورته لم تلبث أن خمدت وعدوانه لم يلبث أن أرتد الى صدره ، ولرب ضارة نافعة . فان هذا العدوان قد أتاح لمصر اعظم فرصة مشروعة للتخلص مما ورد في اتفاقية الجلاء المبرمة في ١٩ اكتوبر سنة ١٩٥٤ من حقوق أو اغتصابات تمسك بها الانجليز تمسك المستميت ، كحق العودة الى منطقة القناة واعادة استخدامها في حالة وقوع اعتداء خارجي على مصر أو على أي بلد عربي بل وإذا حصل اعتداء على تركيا ، وتلك كانت ثالثة الأثافي ، وذلك خلال الخمس السنوات التي تلي الجلاء اي حتى سنة ١٩٦١ .

وهكذا يستطيع كل مصري أن يقول اليوم إن بلاده قد تحررت تحرراً كاملا مطلقاً من كل استعمار أو ظل لاستعمار ، فلا احتلال ولا شركة تكون دولة داخل الدولة أو فوق الدولة ولا سيطرة أو حماية تحت اسم « الدفاع المشترك » ولا مسمار جحا يتحايل بواسطته الاستعمار ليعود الى أرضنا بل تحرر مطلق كامل داخل بلادنا وفي سياستنا الخارجية وعلاقاتنا الدولية .

واستطاعت ثورتنا الحصيفة أن تمد للاستعمار حبل التضليل الى النهاية حتى شنق به نفسه في السودان ، فطالبت بتحرير السودان على أن يترك لشعبه الحق المطلق في تقرير مصيره . وظن الانجليز أنهم سيجدون سبيلا للاحتفاظ بسيطرتهم على هذا القطر الشقيق ، ولكن تكاتف مصر مع السودان في سبيل التحرر قطع على الاستعمار كافة السبل وأضطره الى أن يرحل عن جنوب الوادي حتى قبل أن يرحل عن شماله .

وواصلت شعوب عربية أخرى كفاحها فتحررت مراكش وتحررت تونس ، وها هي الجزائر الباسلة في سبيلها الى التحرر بفضل جهاد ابنائها الابطال ومؤازرة الأمة العربية كلها لها في هذا الجهاد .

وإذا كان الانجليز قد غدروا بفسلطين وسلموها للصهيونيين ثم عادوا فآزروا المرحوم الملك عبد الله في ضمه للجزء الأكبر مما تبقى للعرب في فلسطين الى شرق الاردن على أمل أن تظل المملكة الاردنية الهاشمية كلها تحت سيطرتهم ، فها هو الملك عبد الله يعقب حفيده الوطني الشهم الملك حسين الذي أعلن الاردن في عهده الغاء المعاهدة الاستعمارية التي كان الانجليز قد نجحوا في إملائها على القطر الشقيق .

وهكذا يتضح كيف أن زحف العرب المقدس نحو التحرير آخذ في التقدم المستمر نحو نهايته المحتومة من تحرير الأمة العربية قاطبة . وفي موازاة هذا الزحف المقدس تسير القومية العربية الصاعدة التي تتعادل دائماً مع التحرر كما يتعادل الماء في الاواني المستطرقة .

والشيء المؤكد هو أن القومية العربية لا تسير في خط متواز مع حركة التحرير فحسب بل وكل منهما يقوي الآخر ويزكيه . وإذا كانت الاغلبية الساحقة من الأمة العربية قد تحررت فعلافان هذه الأغلبية كفيلة بأن تذكي الروح القومية حتى تقتلع كل ما تبقى للاستعمار من أثر في عالمنا العربي كله .

القاهرة — **محمد مندور**

الأسوار

مسرحيـــة شعرية

عن سبي فارس لليهود

نظم الاستاذ خالد الشواف المحامي

لوحات شعرية ممتعة عن حياة الجواري
ودسائس البلاط ايام شلمناصر

اسلوب حواري وقيادة لمجرى الحوادث
بمستوى الروائع الكلاسيكية العالمية

اطلبوها من

دار الكشاف وسائر المكتبات

الثمن ٢٠٠ ق. ل.